

السد الأثيوبي أبعاده ومخاطره على مصر والسودان
هل تعود مصر إلى عصر الشموع والفوانيس؟

في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر وتحديدًا في عصر المستنصر بالله العبيدي ١٠٣٦-١٠٩٤م حدثت الشدة المستنصرية أو ما يعرف بالشدة العظمى، وهو مصطلح يطلق على المجاعة والخراب الذي حل بمصر نتيجة غياب مياه النيل بمصر لسبع سنين متواصلة عرفت بالعجاف نهاية عصر المستنصر بالله، وروى المؤرخون حوادث يشيب لها الولدان، فقد تصحرت الأرض، وهلك الحرث والنسل، وخطف الخبز من رؤوس الخبازين، وأكل الناس القلط والكلاب حتى أن بغلة وزير الخليفة الذي ذهب للتحقيق في الحادثة أكلوها، وجاع الخليفة نفسه حتى أنه باع ما على مقابر آبائه من رخام، وتصدقته عليه ابنة أحد علماء زمانه، وخرجت النساء جاتعات صوب بغداد، وذكر ابن إلياس أن الناس أكلت الميتة، وأخذوا في أكل الأحياء، وصنعت الخطاطيف والكلاليب لاصطياد المارة بالشوارع من فوق الأسطح، وتراجع سكان مصر لأقل معدل في تاريخها .

(إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي يذكر فيه هذه المجاعات).

إذن النيل عبر آلاف السنين من تاريخه كان شريان الحياة لمصر، ومع ظهور الكهرباء زادت أهمية هذا النهر، إذ لم يعد دوره مقتصرًا على الشرب والري بل أصبح مولدًا للكهرباء التي أضاعت شوارع وبيوت المصريين، ووفرت لهم احتياجاتهم من الكهرباء.

الجذور التاريخية للسد

=====

يقول الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة الزقازيق، "ينبغي علينا ونحن نتدارس قضية سد النهضة الأثيوبي أن نتدارس الجذور التاريخية لهذه المشكلة، فقد كلفت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية الرحالة البريطاني "جيمس بروس" لاكتشاف بدايات نهر النيل في الحبشة، وكان ذلك عام ١٧٦٩م، فجاء إلى مصر، وكان يحكم مصر في ذلك الوقت علي بك الكبير شيخ البلد وزعيم المماليك، ونزل "جيمس بروس" السودان وسار مع نهر النيل حتى التقاء النيل الأزرق بالنيل الأبيض، ودخل أرض الحبشة، ومكث هناك عاماً كاملاً حتى وصل إلى بحيرة "تانا" في وسط هضبة الحبشة وشاهد خروج النيل الأزرق من بحيرة "تانا" وسار معه حتى عاد إلى القاهرة مع نهر النيل، وكتب تقريراً قدمه للجمعية الجغرافية الملكية البريطانية سنة ١٧٧٠م قال فيه بالنص: (إن نهر النيل الذي يروي مصر ينبع من بحيرة تانا في الهضبة الحبشية، وإن من يسيطر على بحيرة تانا والهضبة الحبشية يستطيع تجويع مصر). وانتشر هذا التقرير في أوروبا، وجاء به عام ١٨١١م إلى مصر جماعة سان سيمون الفرنسية الذين اعتمد عليهم محمد علي باشا في بناء مصر الحديثة، وكانت أفكار جماعة سان سيمون تتلخص في أن العلم الحديث هو محور بناء الدول؛ ولذلك فكر محمد علي باشا في دخول السودان والوصول إلى منابع النيل قبل أن يقوم أحد أعداء مصر بقطع المياه عن مصر من المنبع، فتحركت حملات محمد علي من سنة (١٨٢٠م - ١٨٢٢م) ونجحت في الوصول إلى النيل الأبيض جنوب الخرطوم وشاهدت الحملة التقاء النيل الأزرق القادم من الحبشة بالنيل الأبيض، وهنا أسس محمد علي باشا مدينة الخرطوم عام ١٨٣٠م، وهكذا استخدم محمد علي باشا القوة العسكرية؛ لضمان استمرار وصول مياه النيل إلى مصر، ثم أرسل محمد علي أيضاً بعثة كشفية عرفت ببعثة الكابتن سليم، نزلت جنوباً حتى التقاء بحر الزراف ببحر الغزال مع بحر الجبل بالنيل الأبيض، وهذه هي المنابع الدائمة لتدفق المياه طوال العام، بينما تتدفق مياه النيل الأزرق في فترة الفيضان فقط، كما أن الخديوي إسماعيل الذي حكم سنة (١٨٦٣م - ١٨٧٩م)، فكر هو الآخر في احتلال الحبشة؛ حتى يضمن استمرار تدفق المياه من النيل الأزرق ونهر العظيرة إلى مصر، خاصة بعد أن ضم أريتريا والصومال إلى أرض مصر، ومن ثم أصبحت الحبشة محصورة بين أملاك مصر في السودان وأريتريا والصومال، وأرسل الخديوي إسماعيل حملة عسكرية بقيادة ضابط سويسري يسمى "منزجر" يقود جيشاً لغزو الحبشة والاستيلاء عليها سنة ١٨٧٥م، ومن

الجدير بالذكر أن أحمد عرابي كان مسؤولاً عن إمداد هذه الحملة، لكن القيادة كانت للأجانب، وفشلت الحملة بسبب عدم معرفة رجالها بطبيعة الأراضي الحشبية.

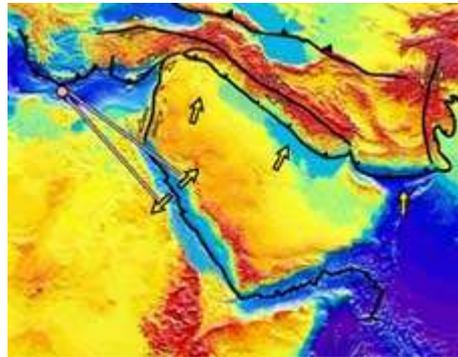
بناء السد

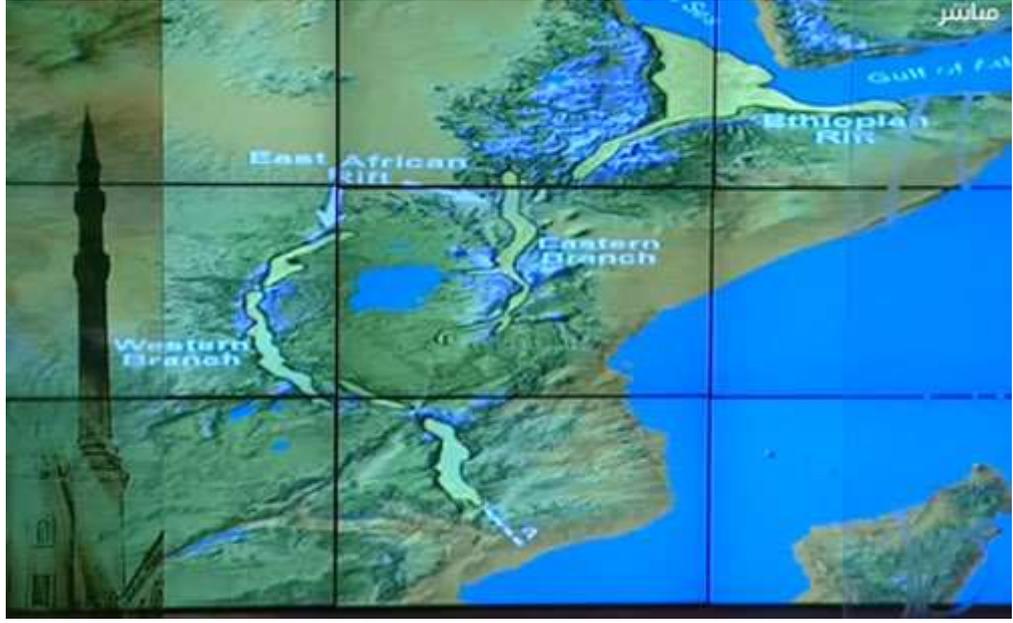
قامت إثيوبيا ببناء هذا السد العملاق الذي يعادل طوله بنايةً من خمسين طابقاً وبسعة تخزينية تساوي أربعة وسبعين مليار متر مكعب (متر مكعب يعادل طن) من المياه، ويتمويل واستشارة وهندسة أمريكية إسرائيلية، وبكلفة خمسة مليار دولار (ميزانية إثيوبيا) علماً بأن إثيوبيا تعد من أفقر ثلاثين دولة في العالم، ويتم الانتهاء منه عام ٢٠١٧ بدعوى حاجتها للكهرباء والزراعة، ولأسباب تنموية في نفس الوقت يؤكد الخبراء بأن السد يختلف في بنيته وشكله وحجمه عن السدود المخصصة للكهرباء التي تحتاج إلى ستة مليار متر مكعب فقط من المياه وليس أربعة وسبعين مليار !
وإن كان للزراعة فمساحة الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة تمثل نسبة ١٠% فقط، فما الحاجة لسد يحجز خلفه أربعة وسبعين مليار طن من المياه!
إذن ما يُخطط له ليس مؤامرة كبرى فقط بل مؤامرة تفوق الوصف، فهل فات مهندسي أمريكا وإسرائيل آثار هذا السد الكارثية.

مخاطر قيام السد

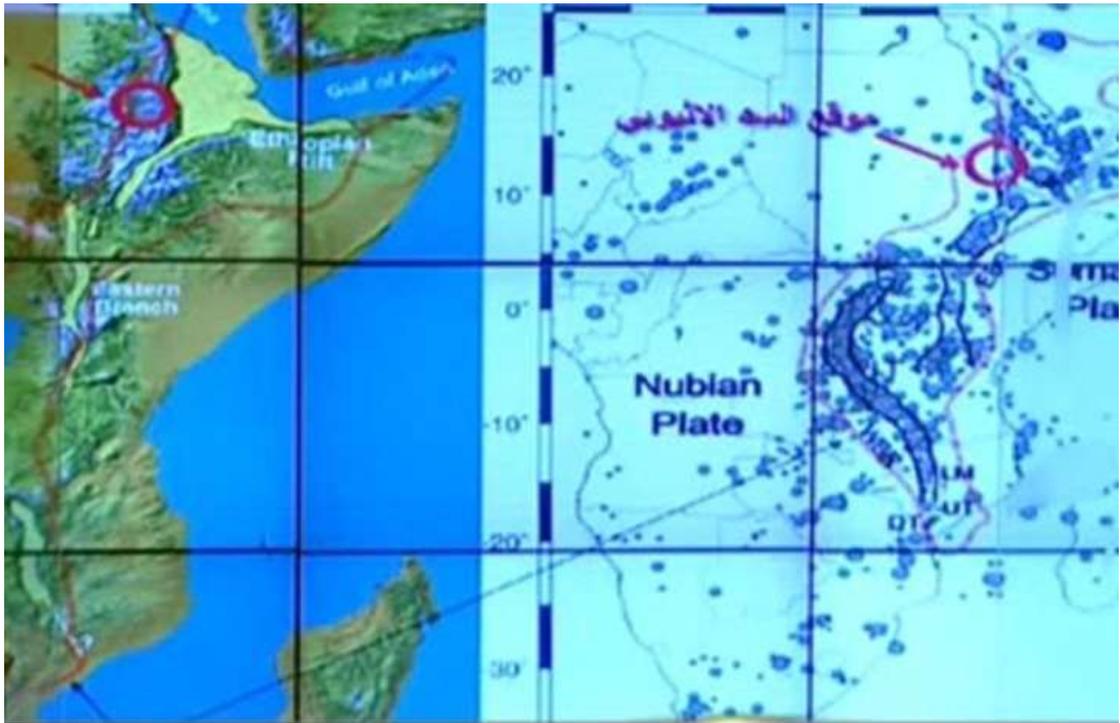
المخاطر تتلخص في عدة نقاط أهمها:

١- أن السد الإثيوبي مبني على الفالق الإفريقي العظيم، وعلى منطقة زلازل وبراكين، بحيث لاتمر ساعة حتى يحدث فيها هزات لا تشعر بمعظمها، فقد حدثت سبع وعشرون هزة أرضية في جنوب السعودية جازان ونجران في خمسة أيام نتيجة تفجيرات بناء السد بجوار الفالق الأرضي متأثراً بالطبيعة الجيولوجية غير المستقرة لمحور بناء السد الإثيوبي.





صورة توضح الفالق العظيم الممتد إلى جنوب السعودية على شكل y



صورة توضح مكان إقامة السد

وفي عام ٢٠٠٠ نشرت المساحة الجيولوجية الامريكية خريطةً على حزام الزلازل، وعلى نطاق الخطورة ما بين إفريقيا والجزيرة العربية، ونشرتها اليونسكو تؤكد خطورة إنشاء مثل هذا السد.

٢- إقامة السد على منحدر شديد الوعورة لا يصلح لإقامة مشروعات زراعية فضلاً عن صعوبة التضاريس وما يتبعها من انتشار الصخور البركانية خاصة في إثيوبيا وهي صخورٌ يسهل تعريتها بواسطة الأمطار الضعيفة هندسياً حيث لا تتحمل إقامة سدود عملاقة.

أصدرت مؤسسة "ستراتفور" - وهي شركة استخباراتٍ أمريكية خاصة - في عام ٢٠١٣ تقريراً تؤكد فيه أن مصر تواجه خطر "وجود" إذا تمكنت إثيوبيا من بناء "سد النهضة".

٣- السد ذو بناءٍ إسمنتيٍّ وليس ركامياً وبشرح مبسط فإنَّ الركامي هو المبنى من الحصى والصخور والتراكمت والخرسانة، ولا يمكن تدميرها الا بقنابل نووية، أما الإسمنتي فهو أعمدة تبني عليها بنايةً ونسبة انهيارها عالية جداً ولا تتحمل زلزالاً بمقدار ١ ريختر، فهل بُني هذا السد كي ينهار!

٤- في تاريخ ٣٠/٥/٢٠١٣ نشر موقع المصري اليوم أخطر تقريرٍ حكوميٍّ عن سد النهضة بعنوانٍ سريٍّ جداً، ففي حال التشغيل للسد ستخفّض قدرة مصر على توليد الكهرباء بنسبة ٣٧% فهل ستعود مصر إلى عهد الشموع والفوانيس، إضافةً للعجز المائي ٤٤,٧ مليار مترٍ مكعبٍ

٥- ٢٠ مليار طنٍّ من المياه ستتسرب في داخل الفالق وسيحدث خلل في المنطقة، ونشاطٌ زلزاليٌّ خطيرٌ في مكة وجنوب السعودية وقد يؤدي إلى انفصال إثيوبيا نفسها عن إفريقيا، وتوقف نهر النيل.

الآثار الكارثية الناجمة عن احتمالية انهيار السد

في حال انهيار السد ستنتقل ٧٤ مليار طن من المياه، وفي توقيتٍ واحدٍ إلى العاصمة السودانية الخرطوم وستغرق تحت ما بين ١٦ إلى ٩ أمتار من المياه وستتبعها المدن المصرية التي بدورها لن تكون أحسن حالاً، ولن ينفعها سدها العالي الذي قد ينهار أو تعبره موجة المياه القادمة لتُغرق مدناً بأكملها تحت المياه، وستتعدى ضحايا هذا الفيضان الكارثي لا قدر الله قتلى الحرب العالمية الأولى والثانية.

ما يفعله الأمريكان واليهود الآن من بناءٍ لهذا السد متطابقٌ تماماً مع نبوءاتهم الدينية من جفاف النيل وخراب مصر من هذا الباب.

الكاتب / عبدالله الضحيك

boyazeed@gmail.com